تل الترمس

أنقاض وحطام في موقع القرية (حزيران/يونيو ١٩٨٧) [تل الترمس]

قرية تل الترمس المهجّرة – قضاء غزة

تل الترمس قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء غزة، كانت تقوم على تل منخفض في السهل الساحلي، على مسافة نحو 38 كيلومتراً شمال شرقي مدينة غزة، وعلى ارتفاع متوسط يبلغ نحو 75 متراً عن سطح البحر.

احتُلت القرية وهُجّر سكانها خلال النكبة واحتلال فلسطين سنة 1948. ويرجح وليد الخالدي أن سقوطها وقع في 9–10 تموز/يوليو 1948 تقريباً، في بداية عملية «آن–فار»، على يد الكتيبة الأولى من لواء غفعاتي.

الموقع والجغرافيا

قامت تل الترمس على تل قليل الارتفاع في السهل الساحلي الجنوبي. وكان وادي المرج يمر بمحاذاة تخومها الجنوبية، بينما ربطتها طرق فرعية بالقرى المجاورة وبطريق عام يؤدي إلى مدينة المجدل في الجنوب الغربي.

بلغت المسافة المباشرة بينها وبين مدينة غزة نحو 38 كيلومتراً إلى الشمال الشرقي، وكان متوسط ارتفاعها نحو 75 متراً عن سطح البحر.

جاورت أراضيها أراضي عدد من القرى، من بينها قسطينة، والمسمية الصغيرة، وتل الصافي، وبعلين، وصميل، والجلدية، والسوافير الشرقية. وكانت قسطينة من أقرب القرى إليها، إذ تبعد نحو 1.5 كيلومتر إلى الشمال الغربي.

اسم القرية ونشأتها

يتألف اسم «تل الترمس» من «تل»، في إشارة إلى الموقع المرتفع قليلاً الذي قامت عليه القرية، و«الترمس»، وهو النبات المعروف الذي كان ينمو في المنطقة المحيطة بها.

وينقل وليد الخالدي عن سكان القرية أنها أُنشئت قبل أكثر من قرن من الفترة التي وثقت فيها، ما يشير إلى أن نواتها الحديثة تعود على الأقل إلى القرن التاسع عشر.

بدأ العمران فوق التل نفسه، ثم توسع تدريجياً خارج النواة الأصلية باتجاه الشرق والغرب. وكانت معظم المنازل مبنية من الطوب.

السكان والمنازل

كان سكان تل الترمس جميعهم من المسلمين. وازداد عددهم بصورة واضحة خلال فترة الانتداب البريطاني.

السنة	عدد السكان	ملاحظة
1922	384	تعداد رسمي في عهد الانتداب؛ جميعهم مسلمون
1931	504	تعداد رسمي؛ الرقم الصحيح وليس 540 الوارد في بعض الجداول الإلكترونية
1945	760	إحصاءات رسمية؛ جميعهم عرب مسلمون
1948	نحو 882	تقدير لاحق وليس تعداداً بريطانياً رسمياً
1998	نحو 5,414 لاجئاً وذريتهم	تقدير لاحق منشور في «فلسطين في الذاكرة»

سجل تعداد سنة 1931 وجود 136 منزلاً في القرية. أما الرقم المتداول لسنة 1948 والبالغ نحو 222 منزلاً فهو تقدير لاحق، وليس تعداداً رسمياً صادرًا عن حكومة فلسطين.

العمران والمسجد

بلغت مساحة الأرض المصنفة مبنية في إحصاءات 1944/1945 نحو 35 دونماً. وكانت المنازل في البداية تتجمع فوق التل، قبل أن يمتد العمران شرقاً وغرباً مع نمو عدد السكان.

كان في القرية مسجد يخدم سكانها المسلمين. ولا يقدم النص الأساسي لوليد الخالدي دليلاً على وجود كنيسة في تل الترمس، لذلك لا يُعتمد الادعاء الوارد في بعض الجداول الإلكترونية بوجود كنيسة في القرية.

التعليم

لم تكن لتل الترمس مدرسة مستقلة، وإنما اشتركت مع قرية قسطينة المجاورة في مدرسة ابتدائية أُنشئت في قسطينة سنة 1936.

بلغ عدد التلامذة المسجلين في المدرسة المشتركة نحو 160 تلميذاً في أواسط الأربعينيات بحسب صفحة تل الترمس في PalQuest، بينما تذكر صفحة قسطينة 161 تلميذاً. ويبدو أن الفرق البسيط ناتج من اختلاف التسجيل أو النقل، ولا يؤثر في الصورة العامة للتعليم في القريتين.

المياه

لا توفر المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها وصفاً تفصيلياً لنظام مياه الشرب في تل الترمس أو أسماء مجموعة من الآبار والينابيع.

ويذكر وليد الخالدي وجود خربة إلى جانب القرية كان فيها بئر قديمة، بينما تشير مصادر فلسطينية توثيقية إلى وجود بئر قديمة ضمن الموقع الأثري. ولذلك يمكن إثبات وجود البئر، لكن لا تتوافر معلومات كافية لإعادة بناء شبكة المياه المنزلية أو الزراعية للقرية بصورة دقيقة.

الحياة الاقتصادية والزراعة

كانت الزراعة عماد اقتصاد تل الترمس. وزرع السكان الحبوب والخضروات والفاكهة، وكانت مساحات واسعة من أراضي القرية صالحة للزراعة.

في سنة 1944/1945 خُصص 154 دونماً للحمضيات والموز، و627 دونماً للبساتين والأراضي المروية، بينما بلغت

المساحة الإجمالية المزروعة بالحبوب 10,403 دونمات عند جمع الأراضي العربية واليهودية والعامة.

وتورد «فلسطين في الذاكرة» أيضاً نحو 158 دونماً مزروعة بالزيتون. وهذا رقم محصولي تفصيلي، ولا ينبغي جمعه مرة أخرى مع إجمالي استعمالات الأراضي، لأنه يدخل ضمن الأراضي الزراعية الواردة في الفئات الأساسية.

ملكية الأراضي سنة 1944/1945

بلغت المساحة الإجمالية لأراضي تل الترمس 11,508 دونمات. وبحسب التصنيف الرسمي لإحصاءات حكومة فلسطين، توزعت الملكية كما يأتي:

المجموع	11,508
نوع الملكية	المساحة بالدونم
عرب	11,199
يهود	68
عام	241

أما «فلسطين في الذاكرة» فيعرض الأرقام نفسها بالتصنيف المبسط: 11,199 دونماً «فلسطيني»، و68 دونماً «تسرّبت للصهاينة»، و241 دونماً «مشاع». ويجب الحفاظ على عبارة «تسرّبت للصهاينة» عند نقل هذا الجدول وعدم استبدالها بمصطلح «يهود»، لأن التصنيفين مختلفان.

استعمال الأراضي سنة 1944/1945

المجموع الكلي	11,199	68	241	11,508
نوع الاستعمال	عرب	يهود	عام	المجموع
الحبوب	10,328	68	7	10,403
البساتين والأراضي المروية	627	0	0	627
الحمضيات والموز	154	0	0	154
إجمالي المزروع/الصالح للزراعة	11,109	68	7	11,184
غير صالح للزراعة	55	0	234	289
مبني	35	0	0	35
إجمالي غير الصالح والمبني	90	0	234	324

يتوازن الجدول الرسمي حسابياً؛ إذ إن 11,184 دونماً من الأراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة، مضافاً إليها 324 دونماً من الأراضي المبنية وغير الصالحة للزراعة، تساوي مجموع مساحة القرية البالغ 11,508 دونمات.

وتحتاج بعض الجداول الإلكترونية إلى الحذر: فالـ7 دونمات العامة المزروعة بالحبوب يجب أن تبقى ضمن خانة «عام»، كما أن 234 دونماً من أصل 289 دونماً غير صالح للزراعة كانت أراضي عامة، ولا ينبغي دمجها تلقائياً ضمن الأراضي الفلسطينية الخاصة.

الآثار والخربة

كانت إلى جانب تل الترمس خربة تضم بئراً قديمة. وتعرّف «فلسطين في الذاكرة» موقعاً أثرياً في أراضي القرية باسم «خربة الطراطير»، وتشير إلى وجود فخاريات وبئر قديمة.

غير أن المصادر الأساسية لا تقدم تأريخاً أثرياً مفصلاً لهذه البقايا، ولذلك لا يصح نسبتها إلى حقبة تاريخية محددة من دون دليل إضافي.

عملية آن–فار

بدأت عملية «آن–فار» في 8 تموز/يوليو 1948 وانتهت في 15 تموز/يوليو. ونفذتها الكتيبة الأولى من لواء غفعاتي على الجبهة الجنوبية خلال الأيام العشرة الفاصلة بين الهدنتين.

كان الهدف العسكري للعملية توسيع منطقة سيطرة لواء غفعاتي شرقاً وجنوباً ومحاولة ربط الساحل الذي سيطرت عليه قوات الاحتلال الإسرائيلي بالمستعمرات اليهودية في النقب. كما تضمنت أوامر العملية طرد المدنيين من المناطق التي يتم احتلالها.

قاومت القوات المصرية التقدم في أجزاء من الجبهة، لكن العملية أدت إلى احتلال وتهجير عدد كبير من القرى الواقعة عند ملتقى أقضية غزة والخليل والرملة. وتدرج PalQuest تل الترمس صراحة ضمن القرى المتضررة من عملية آن–فار.

احتلال تل الترمس وتهجير سكانها

لا تقدم المصادر الأساسية يوماً واحداً محسومًا لاحتلال تل الترمس. فبينما تفهرس «فلسطين في الذاكرة» تاريخ 9 تموز/يوليو 1948، يرجح وليد الخالدي أن القرية سقطت في بداية عملية آن–فار، أي في 9–10 تموز/يوليو 1948 تقريباً.

كانت القوة المنفذة هي الكتيبة الأولى من لواء غفعاتي، وهي الكتيبة التي تولت تنفيذ عملية آن–فار على الجبهة

الجنوبية.

وينقل PalQuest، عبر المصادر التي استخدمها وليد الخالدي، أن أوامر الكتيبة الأولى تضمنت طرد المدنيين من المنطقة المحتلة، في حين ادعت مصادر لواء غفعاتي لاحقاً أن سكان القرى غادروا قبل وصول الوحدات المتقدمة.

أما في حالة تل الترمس تحديداً، فيرجح الخالدي أن سكانها ربما كانوا ضمن مجموعة من سكان المنطقة الذين طُردوا عبر شريط واقع تحت السيطرة الإسرائيلية باتجاه غزة، بدلاً من التوجه شرقاً نحو الخليل. ولأن المصدر يستخدم صيغة الاحتمال، يجب عدم تقديم مسار تهجير سكان القرية باعتباره مثبتاً بصورة قطعية لكل الأهالي.

تسلسل الاحتلال

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
بدء عملية آن–فار	8 تموز/يوليو 1948	بدأت الكتيبة الأولى من لواء غفعاتي الهجوم على الجبهة الجنوبية بهدف توسيع منطقة السيطرة شرقاً وجنوباً.
احتلال تل الترمس	يرجح 9–10 تموز/يوليو 1948	يرجح وليد الخالدي أن القرية سقطت في الأيام الأولى من عملية آن–فار؛ وتفهرس «فلسطين في الذاكرة» يوم 9 تموز.
تهجير السكان	في أثناء احتلال القرية، نحو 9–10 تموز/يوليو 1948	يرجح الخالدي أن بعض سكان المنطقة، وربما سكان تل الترمس، طُردوا عبر منطقة تسيطر عليها قوات الاحتلال الإسرائيلي باتجاه غزة.
نهاية عملية آن–فار	15 تموز/يوليو 1948	انتهت العملية بعد احتلال وتهجير عدد كبير من القرى في المنطقة الواقعة جنوبي الرملة وبين الساحل وتلال الخليل.
تدمير القرية	غير محدد بدقة	لا توفر المصادر الأساسية تاريخاً موثقاً لعملية تدمير مباني تل الترمس، ولذلك لا يصح اختراع يوم أو شهر محدد.
إقامة تيموريم على أراضي القرية	1954	أُقيمت مستعمرة تيموريم على أراضي تل الترمس.

الوحدة العسكرية

تحدد المصادر بصورة واضحة الكتيبة الأولى من لواء غفعاتي بوصفها القوة التي يرجح أنها احتلت تل الترمس في بداية عملية آن–فار.

وفي هذه الحالة لا توجد ضرورة للاكتفاء باسم اللواء فقط، لأن نص وليد الخالدي وصفحة العملية يحددان الكتيبة الأولى تحديداً باعتبارها القوة المنفذة للعملية التي سقطت القرية في بدايتها.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي القرية

أُقيمت مستعمرة «تيموريم» على أراضي تل الترمس سنة 1954.

وتُعد تيموريم المستعمرة التي يحددها وليد الخالدي صراحة باعتبارها قائمة على أراضي القرية، ولذلك لا ينبغي إضافة مستعمرات أخرى مجاورة إلى هذا القسم من دون توثيق يثبت وقوعها داخل حدود أراضي تل الترمس.

قرية تل الترمس اليوم

بحسب الوصف الميداني المنشور في مشروع وليد الخالدي «كي لا ننسى / All That Remains»، كانت أنقاض المنازل متناثرة في أرجاء موقع القرية، وتنتشر بالقرب منها آجام الصبار وأشجار الجميز والكينا. وكانت الأراضي المحيطة بالموقع تُستغل في الزراعة من جانب مزارعين إسرائيليين.

ولا يمثل هذا الوصف تحققاً ميدانياً من حالة الموقع سنة 2026؛ فالعمل الميداني لمشروع «كي لا ننسى» أُجري بين سنتي 1987 و1990. لذلك فهو يوثق حالة الموقع في فترة المسح الميداني للمشروع، ولا تتوافر في المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها هنا معاينة حديثة شاملة تسمح بتحديد حالة جميع الأنقاض والمعالم في الوقت الراهن.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: تل الترمس
- PalQuest – عملية آن ـ فار
- PalQuest – قسطينة؛ معلومات المدرسة المشتركة
- فلسطين في الذاكرة – تل الترمس، قضاء غزة
- الموسوعة الفلسطينية – تل الترمس
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وليد الخالدي، كي لا ننسى
- PalQuest – منهجية مشروع كي لا ننسى والعمل الميداني